١٤ أكتوبر - العدد ٦٦٣٨ - ١٩٨٥/١١/٢٦م، ص٤

في ذكرى الأربعين لوفاة الأديب

حسن بن عبيدالله السقاف

علوي عبدالله طاهر

في مطلع هذا القرن كانت الثقافة في حضرموت محصورة في امور الدين والفقه والشريعه الاسلامية والتصوف وكان جل اهتمام المثقفين حينذاك الالمام بالتعاليم الدينية لاداء الشعائر الاسلامية ومعرفة اساليب المعاملات بمقتضى هذه التعاليم وكان الناس يتلقون هذه التعاليم عن طريق حلقات الدرس العامة في المساجد او في الاربطة والمعاهد الدينية او من الوعاظ والمرشدين الدينيين الذين كانوا يغشون المجتمعات التي يحتشد فيها الناس لاداء الصلاة او للاحتفال بالمناسبات والاعياد الدينيه وكان هؤلاء الوعاظ يحثون الناس على التحلي بالاخلاق ويدعونهم الى الالتزام بالحدود الشرعية في سلوكهم ومعاملتهم ولم تتجاوز الثقافة هذه الحدود .

غير ان هذه الحلقات العلمية استطاعت ان تخرج عددا لابأس بهم من المتعلمين الذين تمرسوا على القراءة والدروس فاقتنوا الكتب ونسخوا المخطوطات . وتكونت لدى بعضهم مكتبات نفيسة في بيوتهم ومن هؤلاء عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف المولود في سيئون عام ١٢٩٩هـ ١٨٨١م وهو شاعر معروف له ديوان ضخم مطبوع وشعره رصين قوى الديباجة جزل اللفظ يغوص في المعاني من غير زخرفة لفضية . وهو عالم مشهور تخرج على يديه عدد من الادباء والشعراء والكتاب ومنهم ابنه الاديب الشاعر حسن الذى رثاه بقصيدة عصماء حين وفاته عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م قال فيها :

ابتي لو انه يفديك ..
من يومك فؤادِ
لفدى روحك منا
كل قلب بالسوادِ
هل لنا بالشوق ان نلـ
. . قاك في يوم المعاد ؟

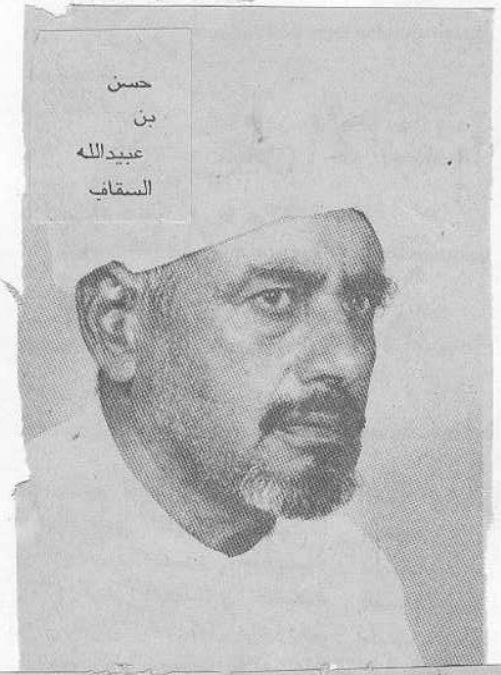

حسن بن عبيدالله السقاف

وكما رثا حسن أباه رثا أمه أيضا بقصيدة ألقاها على قبرها عام ١٣٩٩هـ ١٩٧٨م . قال فيها :

اماه ان الخطب زلزلني
وكان أحشائي بها نارُ
اماه مالي عنك تعزية
وكأنما بالعين عوّارُ
ساروا بنعشك لست بينهم
وتعجلوا ياسؤما اختاروا

لقد مات عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف وزوجته زهراء بنت عبدالله بن حسن البحر وهما مطمئنان وانتقلا الى العالم الاخر لينعما بالخلود لانهما قد أنجبا ابنا بارا هو حسن .

فمن هو حسن هذا ؟

انه حسن بن عبد الرحمن بن عبيدالله السقاف المولود في مدينة سيئون في محافظة حضرموت عام ١٣٣٤هـ ١٩١٥م نشأ في أسرة متعلمة وفي بيئة علم وأدب .

كان اول مانفصحت به لسانه القرآن الكريم الذى درسه على والده منذ طفولته المبكرة ثم التحق بمدرسة النهضة الاهلية بسيئون وبها تلقى معظم العلوم اللغوية والدينية وتفتحت مداركه على الادب وتمرس على التعابير اللغوية السليمة واطلع على الاساليب الادبية المختلفة فنما ذوقه الادبي وتطورت لغته وتهذب اسلوبه بالقراءة اذ اقبل على كتب الادب يقرؤها بشغف وعلى المخطوطات يتفحصها بشوق حتى تكونت لديه ذخيرة لغوية وثقافية ادبية واسعة ومفاهيم دينية متطورة.

عمل مدرسا في المدرسة التي تعلم فيها فوجد مناهجها عتيقه واساليب التدريس فيها متخلفة فعمل على تغيير مناهجها وتطوير اساليب تدريسها وسعى لادخال العلوم الحديثة اليها وكان من الداعين لتعليم البنت ومن مؤسسي أول مدرسة للبنات في حضرموت .

ولما كانت ظروف حياته قاسية ومتطلباته متزايدة اضطر للسفر الى شمال الوطن في مقتبل عمره وتنقل بين المدن اليمنية المختلفة صنعاء وتعز والحديدة وعدن فالتقى بعلمائها وتعرف على أدبائها وتعززت علاقاته ببعضهم وكانت حركة المعارضة ضد الامام يحى

في بداية نموها تتفاعل معها وتقوت في نفسه الاحاسيس الوطنية عاد بعدها حاملا رآية الاصلاح ومتزعما حركة التغيير .

وفي سيئون سعى الى تاسيس النادى العلمي عام ١٩٣٧م وعن طريقة تمكن من اللقاء بعدد من الادباء والمتعلمين واشترك مع الاديب عمر محمد باكثير في اصدار صحيفة الصحيفة "المخطوطة" والتي نشر على صفحاتها بواكير انتاجه الشعرى حتى ترسخت اقدامه في ميدان الشعر والادب فاصدر عام ١٩٤٣م ديوانه الاول ولائد الساحل المتميز بالحداثة والريادة في بعض قصائده ثم تتابعت دواوينه ومسرحياته الشعرية ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر :

○مسرحية شعرية بعنوان الى فلسطين صدرت عام ١٩٤٨م في أعقاب نكبة فلسطين وقد شارك بتمثيلها بنفسه مع بعض زملائه في المدرسة الجديدة في العام نفسه .

○ملحمة شعرية بعنوان دولة العرب وهي قصيدة مطولة نظمها عام ١٩٤٨م تشيد بالتجربة الناصرية وبحركات التحرر الوطنية العربية وتدعو الى الوحدة العربية وتبشر بمستقبل سعيد للامة العربية في ظلها .

○ساهم في تطوير الحياة الثقافية والادبية الحديثة في اليمن من خلال كتاباته ونشر قصائده في عدد من الصحف اليمنية وعلى وجه الخصوص صحيفتي فتاة الجزيرة والنهضة

ومن يقرا الاعداد التالية مثلا في صحيفة فتاة الجزيرة فانه لاشك سيجد فيها قصيدة او مقالة لفقيدنا

- العدد ١٠٧ - ١٩٤٢/٢/٨م
- العدد ١٠٨ - ١٩٤٢/٢/١٥م
- العدد ١١٧ - ١٩٤٢/٤/١٩م
- العدد ١٢٢ - ١٩٤٢/٥/٢٤م
- العدد ١٢٣ ١٩٤٢/٥/٣١م
- العدد ٢٤٠ - ١٩٤٤/١٠/١م
- العدد ٢٤٧ - ١٩٤٤/١١/١٩
- العدد ٥٣٤ - ١٩٥٠/٨/٢٠م
- العدد ٥٣٠ - ١٩٥٠/٧/١٦م
- العدد ١١٨ - ١٩٤٢/٤/٢٩م
- العدد ٣٧١ - ١٩٤٧/٥/١١م
- العدد ٣٦٧ - ١٩٤٧/٣/٣٠م
- العدد ٣٦٤ - ١٩٤٧/٢/٢٢م
- العدد ٣٥١ - ١٩٤٦/١٢/٢٢م

وغيرها من الاعداد

الى جانب مساهماته في الكتابة في الصحافة كان يشارك المواطنين احتفالاتهم الدينية وغيرها ويقلي عليهم بعض القصائد وكان يتردد على بعض النوادى الادبية المراكز الثقافية في عدن مثل مخيم ابي الطيب وغيره ويشارك في نشاطات تلك النوادى.

سافر الى الحجاز عام ١٩٥٨م وعمل هناك مدرسا في احدى مدارسها حتى عام ١٩٦٤م غير انه كان على اتصال دائم بمسقط راسه وباهله واحبائه.

في عام ١٩٦٤م عاد الى وطنه منقدا حماسا وثائرا على الاوضاع الفاسدة في بلاده وكانت الثورة المسلحة ضد الاستعمار قد تاججت نيرانها فقاد المسيرات تاييدا لها وشارك في المظاهرات المندده بممارسات سلطات الاحتلال وعملائها في المنطقة وكان لخطبه البليغة اثرها في الهاب حماس الجماهير .

وفي عام ١٩٦٥م زار مصر وتعرف فيها على بعض أعلام الادب والثقافة وحاورهم وناظرهم وحاز على اعجابهم عاد بعدها متاثرا بالتجربة الناصرية ومعتزا بمنجزات ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م بقيادة عبد الناصر . انعكس ذلك على شعره ومواقفه الايجابية من الاحداث الوطنية في اليمن شمالا وجنوبا

وفي عام ١٩٧١م انتخب عضوا في مجلس الشعب الاعلى عند تاسيسه ثم اعيد انتخابه عن دائرة سيئون وظل عضوا في المجلس حتى وفاته .

وفي عام ١٩٨٢م مثل اليمن الديمقراطية في مؤتمر للفقه الاسلامي عقد في مدينة الرياض بالسعودية .

وفي عام ١٩٨٣م مثل اليمن الديمقراطية في المؤتمر الرابع عشر للاتحاد البرلماني العربي الذى انعقد في صنعاء .

وكان الفقيد عضوا مؤسسا لاتحاد الادباء والكتاب اليمنيين ومن المساهمين في تاسيس فرع حضرموت ومن الاعضاء النشطين في الاتحاد حتى اخر لحظة في حياته . وقد شارك في عدد من مؤتمرات اتحاد الادباء والكتاب العرب.

ومن اعماله التي لم تنشر مايلي :

- ديوان شعر تحت الطبع في دار الهمداني .
- كتاب مخطوطي اللغة والادب والتاريخ بعنوان مواليد لغوية ويحوى محاولات لتعريب بعض الالفاظ الاجنبية الدخيلة على لغتنا العربية .
- لقطات من مخطوطات ،وفيه مقتطفات هامة من بعض المخطوطات النادرة .
- أيام عامرة ،مذكرات كتبها من وحي زيارته للاتحاد السوفيتي .
- جزيرة الشيخ حزام.قصة اجتماعية

وغيرها وكلها جديرة بان تحظى بالعناية وتتولى الجهات المسؤولة طبعها .

عمل الفقيد سكرتيرا بسكرتارية العدل والاوقاف بسيئون ثم التحق بسلك التدريس في ثانوية سيئون منذ عام ١٩٧٢م حتى وافته المنية في عصر يوم الجمعة الموافق الحادى عشر من شهر اكتوبر ١٩٨٥م. على اثر ارتفاع مفاجيء في ضغط الدم

تغمد الله فقيدنا بالرحمة واسكنه فسيح جناته فقد كان مثالا للرجل المتواضع والمواطن الصالح ولايسعنا فيذكرى وفاته الاربعين الا ان ندعو له بالرحمة ولاهله الصبر ولوطنه العوض.